مجلة الحكمة للدراسات الاسلامية
Eissn :2773-4471 Issn : 2353-043X
المجلد10/ العدد: 01 (2023)، ص: 156-175

من مظاهر الإعجاز اللغوي في سورة الأنعام.

Manifestations of linguistic miracles in Surat Al-An'am.

بن زهرير بلال [1]، فتحي بودفلة [2]

[1] جامعة بن يوسف بن خدة 01 (الجزائر)، b.benzahrir@univ-alger.dz

[2] جامعة بن يوسف بن خدة 01 (الجزائر)، f.boudefla@univ-alger.dz

تاريخ الاستلام: 2022/09/20 تاريخ القبول: 2022/11/27 تاريخ النشر: 2023/01/01

ملخص:

يهدف البحث إلى دراسة سورة الأنعام من أجل الكشف عن مظاهر إعجازها لغويا في مفرداتها القرآنية ، وذلك من أجل بيان أهم أوجه الإعجاز البلاغي للقرآن الكريم في سورة الأنعام، وإبراز أثر تلك المفردات في الكشف عن لطائف القرآن الكريم وفي فهمه وتدبر معانيه وفي الدلالة على إعجازه اللغوي، فجمعت بعض النماذج من الآيات القرآنية من سورة الأنعام من أجل دراستها والكشف عن دررها ولطائفها البلاغية.

كلمات مفتاحية: سورة الأنعام، البلاغة، الإعجاز، المظاهر البلاغية.

Abstract: The research aims to study Surat Al-An’am in order to reveal the manifestations of its linguistic miraculousness in its Qur’anic vocabulary, in order to clarify the most important aspects of the rhetorical miraculousness of the Holy Qur’an in Surat Al-An’am, and to highlight the impact of those vocabulary in revealing the sects of the Holy Qur’an and in understanding it and managing its meanings and in indicating its linguistic miraculousness. . So I collected some samples of Quranic verses from Surat Al-An'am in order to study them and reveal their pearls and rhetorical kindness.

Keywords: AlAn'am, rhetoric, miraculousness, Rhetoricalmanifestation,

*المؤلف المرسل: بن زهرير بلال.

1. مقدمة.

أنزل الله القرآن الكريم على نبيه عليه الصلاة والسلام ليكون للعالمين نذيرا وبشيرا، فحاز بأسلوبه الجمال، وسبق نظمه كل كلام، فأعجز سادة العرب بيانه، وهالهم برهانه، فأصبحوا مبهورين منه، عاجزين أمامه .

ولأن القرآن الكريم المعجزة الخالدة، وبلاغته بحر زاخر فهو كتاب متجدد مع الزمان، لا تذهب حلاوته، ولا تنقضي طلاوته، يجد فيه كل جيل ما يبل الصدى، ويشفي الغليل، والكلام في إعجازه قابل دائمًا لأن يأتي بالجديد، فكان من أبرز وجوه الإعجاز القرآني الوجه البلاغي.

فوقع الاختيار على سورة الأنعام لخصائصها التي ميزتها عن باقي السور فارتأينا دراستها لبيان ولو جزء بسيط من جمالها اللغوي من بحثنا هذا، والذي لا ندي فيه الإحاطة بتلك اللطائف اللغوية المبثوثة في السورة، وإنما قصدنا الإشارة إلى بعض منها من خلال المستوى الافرادي والتركيبي من أجل الوصول إلى جملة من لأهداف:

- الوصول إلى أن للمفردة القرآنية جماليات نشأت من تخير الألفاظ وانتقائها.
- الوصول إلى أن للتركيب القرآني نكت وأساليبه ذات غرض بلاغي.

ومن خلال هذه الأهداف تظهر أهمية الموضوع التي تتمثل في إبراز درر وأسرار كلام الله من الناحية اللغوية التي تدلل على إعجازه .

ولبلوغ هذه الأهداف الأسئلة التالية : ما هي خصائص سورة الأنعام وما هي أغراضها التي نزلت من أجلها؟ ما مدى بلاغة الكلمة في سورة الأنعام وهل يمكن استبدالها بمرادفتها؟ وهل لتوظيف المفردة علاقة بالمقام ؟ وانتهجنا المنهج

الاستقرائي المقرون بالمنهج التحليلي ؛ حيث استقر أنا جملة من الآيات القرآنية وبينا جمالها من خلال تحليلها .

1.1- العنوان الفرعي الأول :تحديد المفاهيم والمصطلحات.

البلاغة: يعرّف ابن منظور البلاغة بقوله:" البلاغة الفصاحة، و البلغ البليغ من الرجال ورجل بليغ، بلغ وبلغ حسن الكلام فصيحه، يبلغ ببارة لسانه كله ما في قلبه، والجمع بلاء، وقد بلغ بلاغة صار بليغا" (منظور، 1990، صفحة ج2 ص517)

ويعرف الدكتور أحمد مطلوب في معجمه البلاغة بقوله: " البلاغة الانتهاء والوصول، يقال بلغ الشيء يبلغ بلوغا وبلاغا وصل وانتهى وبلغ بالشيء وصل إلى مراده..." (مطلوب، صفحة ص235)

أما اصطلاحا فقد اختلفت تعريفات البلاغة حسب تصور البلاغيين، فالجاحظ يعرفها بقوله: " فكأنك تريد تخير اللفظ في حسن الإفهام ." (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص 114)

وبقول الجاحظ:" ولا يكون الكلام يستحق اسم البلاغة حتى يتسابق معناه لفظه ولفظه معناه فلا يكون لفظه الى سمعك أسبق من معناه إلى قلبك" (الجاحظ، 1998، صفحة ج1 ص115)

من خلال هذه التعاريف يتبين أن للبلاغة خصائص وهي:

- اختيار اللفظ مرهون بالفهم والإفهام.
- اختيار اللفظ مرهون بالمتلقي من حيث استحسانه واستهجانه.
- البلاغة مرتبطة بعيوب النطق فمتى كانت أعضاء النطق سليمة كان المعنى واضحا وسليما.
- البلاغة قائمة على أساس اختيار اللفظ وتأليفه وحسن نظمه

المفردة لغة واصطلاحا.

المفردة لغة : جاء في مختار الصحاح: " ف. ر. د: الفرد الوتر والجمع أفراد وفُرادى بالضم على غير قياس كأنه جمع فردان" (الرَّازي، دط، صفحة ج1 ص 236.)، وقال صاحب المصباح المنير : " ف ر د: الفرد الوتر وهو الواحد والجمع أفراد" (الفيومي.، دت، صفحة ج2 ص466)

ومن التعريفين السابقين نستنتج:

1- المفردة تقابل الوتر وهو الواحد وهي ضد التثنية أو الجمع.

المفردة اصطلاحا :

المفردة جمعها مفردات، ودلالة هذه اللفظة في اللغة تعني الوحدة الذي هو ضد الجمع و التركيب، فالمفردة ما كان وحده، وتدل في "الاصطلاح على القول المفرد، والمراد بالقول اللفظ الدال على معنى...والمراد باللفظ الصوت المشتمل على بعض الحروف، سواء دل على معنى كزيد أو لم يدل كديز مقلوب...والمراد بالمفرد مالا يدل جزؤه على جزء معناه وذلك نحو زيد فإن أجزاءه، وهي الزاي والياء والدال إذا أفردت لا تدل على شيء مما يدل عليه بخلاف قولك غلام زيد". (هشام، 1383، صفحة ص11).

والمفردة تلتقي مع الفرد و الإفراد و المفرد و الفردية و الجوهرة الفريدة و الإنفراد، وتدل على العدد الواحد وهذا كله نقيض التثنية و الجمع" (ياسوف، 1999م، صفحة ص19).

ومما سبق يمكن القول: إن المفردة هي المجموعة الصوتية التي تدل على معنى واحد، و هذه المجموعة هي وحدة كلامية تقوم مقام الجزء من الكل في الجملة، وهي الجزء الأولي في بناء النظم و الوحدة المكونة له، فلا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر وهي عكس التثنية أو الجمع.

1.2 نزول سورة الأنعام :

سورة مكية وهي مئة وخمس وستون أية نزلت بمكة جملة ليلا معها سبعون ألف ملك قد سدوا ما بين الخافقين، لهم زجل بالتسبيح والتحميد والتمجيد، فقال النبي صلى الله عليه وسلم" سبحان ربي العظيم" وخر ساجدا. (البغوي، 1409 ، صفحة ص125).

وهي إحدى السور المكية الطويلة التي يدور محورها حول" العقيدة وأصول الإيمان" وهي تختلف في مقاصدها وأهدافها عن السور المدنية، فهي لم تعرض لشيء من الأحكام التنظيمية كالصوم والحج والعقوبات وأحكام الأسرة، ولم تذكر أمور القتال ومحاربة الخارجين عن دعوة الإسلام، كما لم تتحدث عن أهل الكتاب من اليهود والنصارى ولا على المنافقين، وإنما تناولت القضايا الكبرى الأساسية لأصول العقيدة والإيمان ويمكن أن نجماها فيما هو آت:

قضية الألوهية وقضية الوحي والرسالة، وقضية البعث والجزاء، وهي أصل في محاجة الكافرين وغيرهم من المبتدعين ومن كذب بالبعث والنشور، وهذا يقتضي إنزالها جملة واحدة لأنها في معنى واحد في الحجة (القرطبي، 2001، صفحة ص247).

وتعرض هذه السورة موضوعاتها وفق أسلوبين:

الأول: أسلوب التقرير: إذ تعرض الأدلة المتعلقة بتوحيد الله والدلائل المنصوبة على وجوده وقدرته وسلطانه وقهره.

الثاني: أسلوب التلقين: ويظهر جليا في تعليم الرسول عليه الصلاة والسلام تلقين الحجة ليقذف بها في وجه الخصم، وإفحامهم بالحجة الساطعة والبراهين القاطعة

1.3- خصائص هذه السورة وأغراضها:

تميزت سورة الأنعام عن باقي السور القرآنية بجملة من الخصائص يمكن إجمالها فيما يلي :

-نزلت سورة الأنعام دفعة واحدة وكتبت في الليلة التي نزلت فيها من طرف كتاب الوحي .

- سورة الأنعام سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال : «لقد شع شيع هذه السورة أكثر من سبعين من الملائكة ، فعن جابر رضي الله عنه قال : لما نزلت هذه السورة من الملائكة ما سد الأفق.
- تعد هذه السورة أجمع سور القرآن لأحوال العرب في الجاهلية ، وأشدها قرعا وجدالا لهم و احتجاج على سفاهة أحوالهم من قوله تعالى:(وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث الأنعام نصيبا ...وفيما حرموه على أنفسهم مما رزقهم الله)الآية .

فكانت سورة الأنعام على دأب السور المكية في أغراضها ؛ فالغاية منها إنشاء عقيدة صحيحة تتوجه في كل تقلباتها إلى عبادة الله وحده لا شريك له إضافة إلى أغراض أخرى ، ولعله يمكن إجمال هذه الأغراض فيما يلي :

- تنزيه الله عن الولد والصاحبة .
- موعظة المعرضين عن آيات الله والمكذبين بالدين الحق وتهديدهم بأن يحل بهم كما حل بالأقوام السابقين .
- إثبات صدق القرآن بأن المشركين يعرفون أن هذا الكلام هو الدين الحق وأن آلهتهم ستتبرأ منهم وأنهم سيندمون على شركهم .
- ضرب المثل للنبي صلى الله عليه وسلم بقصة إبراهيم مع أبيه وقومه (عاشور، 1984، صفحة ص127).
- اختتمت بالوصايا العشر التي ذكرت في كل الكتب السماوية ودعا إليها جميع الأنبياء (سلامة، 2002، صفحة ص91).

2.1- العنوان الفرعي الثاني : من أسرار توظيف المفردة القرآنية في سورة الأنعام

بلاغة المفردة في سورة الأنعام :

إن هذه الجزئية تقوم على الرأي الوسط في مسألة الترادف في اللغة عامة وفي القرآن خاصة والذي يقضي أن الترادف موجود إلا أنه ليس لكلمة أن تؤدي ما تؤديه مرادفتها أو العكس ؛ إذ إن الترادف هو في أصل المعنى ولكل مفردة مميزاتها عن الأخرى كلفظتي : الغيث والمطر ؛ فكلاهما يدلان على ذلك الماء النازل من السماء وهذا هو أصل المعنى إلا أنهما يختلفان في الصفات ، فالغيث هو الماء الذي تكون عواقبه حميدة أي إنه نعمة ، أما المطر فهو الذي يكون نقمة .

وعلى هذا الأساس كان توظيف المفردات القرآنية ؛ فإنه لا توجد مرادفة تسد مسد المفردة في الآية ولعل هذا من ظواهر الإعجاز والنماذج من القرآن كثيرة ، وإننا سنقتصر في هذا المقام على جملة من النماذج من سورة الأنعام .

1/قال تعالى :﴿ □ يم يى □ □ □ □ □ الأنعام : 96 .

والشاهد في هذه الآية أربع كلمات كانت مصدرا لذلك الجمال غير المتناهي الذي يحس به من يقرأ الآية في تأن وتؤدة ، وتتمثل هذه الكلمات في (فالق ، الإصباح ، سكنا ، حسبانا): «وابحث عن أي كلمة أخرى تقوم مقام "فالق" تؤدي معناها وتقوم مقامها في تصوير المراد وتصوير الفكرة، وابحث عن أي كلمة أخرى تضعها موضع "الإصباح" في دلالتها على الحركة والانبثاق وفي بث حقيقة المعنى المطلوب، ثم فتش في اللغة كلها عن كلمة تضعها في مكان" سكنا" في هدوءها ولينها المنبعث من فتحاتها المتتابعة وفيما تبثه من الصورة في الخيال والنفس ثم ابحث ما شئت عن كلمة أخصر وأدل و أجمع من هذه الكلمة العجيبة "حسبانا" (شيخون، 1978 ، صفحة ص65). وجلي من هذا الكلام أنه لا يمكن لمرادفات هذه الكلمات أن تعوض المعنى الذي تؤديه ، فكان توظيفها أبلغ في هذا المقام؛ إذ إن الفلق هو

الشق في اللغة (الرَّازي، دط، صفحة ص 511)، وكلاهما يشتركان في معنى جعل القطعة الواحدة المتلاحمة قطعتين منفصلتين ومع ذلك فإن لفظة (الشق) غير ملائمة لأن المقام مقام إحياء ذو علاقة مباشرة بالنبات والحياة (قطب، دط ، صفحة ص125)؛ فإنها عملية بيولوجية ناسبها الفلق إذ يقال انفلق النبات ولا يقال انشق.

أما لفظة (الإصباح) فكانت أبلغ من كلمة (الصبح) أو (الفجر)؛ لأن هذه الفظة كانت أقدر على تمثيل تلك الحركة المتدرجة في الظهور كحركة النبات من كلمة (الصبح)، كما أنها كانت أنسب في مجاورة من كلمة (الفجر) فلفلق هو الصبح (الرَّازي، دط، صفحة ص135)، والفالق هو الإصباح والجمع بين الكلمتين يشكل صورة حية : « وإنفاق الإصباح من الظلام حركة تشبه في شكلها انفلاق الحبة والنواة وانبثاق النور في تلك الحركة كانبثاق البرعم في هذه الحركة » (قطب، دط ، صفحة ص225).

والسكون هو الهدوء إلا أن القرآن استعان بالأول ولكن على وزن فَعَلا أي سكنا وهذا لتجسيد ذلك الهدوء المقرون بالسكينة واللين .

ثم وصف الشمس والقمر بأنهما (حسبانا) وهذا الأخير في الأصل مصدر (حسب) كالغفران والشكران أي جعلهما (حسابا) ،واستعان القرآن الكريم بالأول دون الثاني للدلالة على أن الشمس والقمر علامة للحساب (عاشور، 1984، صفحة ص392)، حتى لا يتوهم غير ذلك .

فكانت الغاية من هذه الآية الاستدلال والاعتبار بخلق الله وعجائب مصنوعاته المشاهدة لإبطال معتقدات المشركين وإثبات أن الله هو المستحق للعبادة :«أُنظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألف بينها ، واحتج بها على ظهور قدرته ، ونفاذ أمره ، أليس كل كلمة منها غرّة وبمفردها درّة » (الباقلاني، دس، صفحة ص188).

2/ قال تعالى : ﴿ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ نم نى □ □ □ □ □ □ ﴾ الأنعام 125.

شبه القرآن الكريم الضيق الذي يشعر به المنفقون عندما يسمعون دعوة الحق بذلك الضيق الذي يحس به من يصعد جبلا عاليا وهذا من خلال لفظة (يصّعّد) : "تأمل بعقلك وخيالك وذوقك قوة "يصّعّد في السماء"، إنه يصور لك في دقة وإحكام مدى ما يشعر به هذا الإنسان من التعب الشديد والعناء المضي المميت قل لي بربك لو استبدلت كلمة "يصّعد" من غير تشريد ألا تحس أن التعب قد خفّ وأن العناء قد تضاءل، إن هذه الكلمة القرآنية بظلها وجرسها وإيحائها هي وحدها من بين مفردات اللغة العربية القادرة على تصوير هذا الضيق وإبرازه في صورة حية متحركة مشاهدة ملموسة..." (شيخون، 1978 ، صفحة ص161)، فهذا هو الفرق بين المفردتين (يصعد) و(يصّعّد) بالتشديد والذي يتمثل في ذلك العناء والتعب فكان التشديد في هذا المقام أبلغ لبيان ضيق هؤلاء الذي وصل إلى ذروته ...**قال تعالى** :﴿ لخ لم لى لي □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾الأنعام: 82.

فقوله "لهم الأمن" أشارت اللام إلى أن الأمن مختص بهم وثابت، وهو أبلغ من قولهم "آمنوا"؛ فكان التعريف في "الأمن" تعريف جنس" (عاشور، 1984، صفحة ص320)، وقد جمعت هذه الكلمة جميع مفردات الخير التي تقضي بشعور المؤمنين بالطمأنينة والأمان وهي من الناحية البلاغية إيجاز قصر **قال تعالى** : ﴿ □ ﴾ الأنعام :30 ، والشاهد في هذه الآية قوله (على ربهم) فقد استعان بلفظ (ربهم) دون لفظ الجلالة (الله)؛ لأن الأولى أبلغ في بيان موقف الحساب والعقاب :«[...] وتعليق "على ربهم "ب "وقفوا " تمثيل لحضورهم المحشر عند البعث شبهت حالهم في الحضور للحساب بحال عبد قبض عليه فوقف بين يدي ربه وبذلك تظهر ميزة التعبير

بلفظ "ربهم" دون اسم الجلالة » (عاشور، 1984، صفحة ص187) ، فالرب هو المالك والحاكم في هذا اليوم الذي هو يوم حكم بالجنة أو النار.

3/ قال تعالى : ﴿ □ □ □ الليل رأى كوكبا قال هذا □□ □ □ □ □ بر □ □﴾ الأنعام 76، وهذه الآية في سياق قصة سيدنا إبراهيم مع أبيه وهو يبحث عن الحقيقة الإلهية بدءا من التفتيش في هذه الطبيعة وفي أجرامها السماوية، وقد عبر القرآن عن ذلك في نظم معجز من خلال ذلك التآلف بين مفردات منتقاة بدقة كل واحدة تؤدي معناها على أكمل وجه وأبلغ صورة ، ومن بين هذه المفردات لفظة (أفل) ولفظة (الآفلين) .

ف(أفل) بمعنى (غاب) فهما مترادفان إلا أن القرآن الكريم استعان بالأفول دون الغياب ؛ لأن الأفول خاص بالنيّرات السماوية وهو يفيد غروبه فيقال (أفل النجم) و(أفلت الشمس)و (أفل الكوب) إذا غابت وراء الأفق بسبب الدورة اليومية للأرض فلا يقال (أفلت الشمس) أو (أفل النجم)إذا احتجبت بسحاب مثلا وهذه هي ميزة توظيف(أفل) على (غاب). (عاشور، 1984، صفحة ص320).

أما لفظة الآفلين فقد جاءت بصيغة جمع الذكور المختص بالعقلاء والأصل أنها تعود على جوامد وهي تلك الأجرام السماوية فيكون جمعها على وزن المؤنث (الآفلات) إلا أن الاستعانة بصيغة العقلاء أبلغ لأنه يوافق اعتقاد قوم إبراهيم – عليه السلام –بأن هذه الكواكب عاقلة متصرفة في الأكوان ويدل على ذلك قوله تعالى :﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □□ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ﴾الأنعام: 78؛ إذ يؤخذ منها أن إبراهيم كان سائرا مع فريق من قومه يشاهدون الكواكب ويصورون لها أصناما وتلك ديانة الكلدانيين قوم إبراهيم.

4/ قال تعالى : ﴿ □ □ □ □ □ بر □ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي □ ﴾ الأنعام 97، والشاهد في هاتين الآيتين توظيف القرآن لفظة (يعلمون) في الآية

الأولى ثم عدل عنها إلى لفظة (يفقهون) وهذا لأن هذه الأخيرة أبلغ من (يعلمون): " وعدل عن (يعلمون) إلى(يفقهون)لأن دلالة إنشائهم على هذه الأطوار من الاستقرار والاستيداع وما فيهما من الحكمة دلالة دقيقة تحتاج إلى تدبر فإن المخاطبين كانوا معرضين عنها فعبر عن علمها بأنه فقه بخلاف دلالة النجوم على حكمة الاهتداء بها فهي دلالة متكررة... " (عاشور، 1984، صفحة ص396).

فإن الاهتداء بالنجوم اتخذها الإنسان منذ القديم وإن الاستشهاد بها على أنها حجة كونية تدل على وجود الله كان من قبيل التذكير، أما قضية خلق الإنسان فهي من القضايا التي يصعب إدراكها؛ فالمستقر هو الرحم أما المستودع فهو صلب الرجل والإنشاء يكون بجمعهما كما عبر القرآن عن ذلك وهذا طريق دقيق المسلك توصل إليه العلم الحديث ومع ذلك فإن إدراكه في هذا العصر ليس بمتاح من الوهلة الأولى ولا لجميع العقول البشرية بل إنها تحتاج إلى تفقه .

5- قال تعالى :﴿ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ □ لج لح لخ لم لهمج مح مخ مم ﴾ الأنعام 124، استعان القرآن بلفظة (صغار) دون (الذل) مع أنهما بمعنى واحد إلا أن الفرق الجوهري بينهما يقع في التبليغ ؛ إذ إن الصغار هو أشد الذل فالمقصود هو هذا وليس مجرد الذل .

قال تعالى :﴿ □ □ □ □ لج لح لخ لم لهمج مح مخ مم نجنح نخ نم نه □ هم □ يج يح
يخ يم □ ﴾الأنعام : 68.

والشاهد كلمة (يخوضون) ومعناها يتكلمون في الآيات بالباطل والاستهزاء، والخوض هو الدخول في الماء مشيا بالرجلين دون سباحة ثم استعير للتصرف الذي فيه كلفة أو عنت؛ غذ إن كلامهم فيه تكلف الكذب والباطل (عاشور، 1984، صفحة ص289).

وحقيقة (يخوضون) هي يذكرون ، وقد علل الرماني توظيف القرآن ل(يخوضون) دون (يذكرون) بقوله: "كل خوض ذمه الله تعالى في القرآن فلفظه مستعار من

خوض الماء وحقيقته يذكرون آياتنا، والاستعارة أبلغ لإخراجه إلى ما تقع عليه المشاهدة من الملابسة لأنه لا تظهر ملابسة المعاني لهم كما تظهر ملابسة الماء لهم " (والجرجاني، 1979، صفحة ص95).

فجلي من هذا الكلام أن العلة تكمن في تجسيم المعنى وإخراجه من التجريد إلى العيان ولا سبيل إلى ذلك سوى استعارة تحقق تلك الملابسة من خلال تشبيهها بملابسة مادية يرونها بالعين وحاصلة في واقعهم .

6/ قال تعالى : ﴿ تخ تم ته ثم □ جم □ حم □ خم □ □□ سم □ ﴾الأنعام : 93

لقد وظف القرآن لفظة (غمرات) بصيغة الجمع مضافة إلى الموت ، فهل للموت هذا العدد من الغمرات ؟ أم لها غمرة واحدة؟!

الغمرة ما يغمر من الماء فلا يترك للمغمور مخلصا وأُستعيرت للشدة نظرا لتشبيهها بتلك الشدة الحاصلة للغريق حين يغمره الوادي أو السيل وشاعت بهذا المعنى حتى صارت الغمرة حقيقة عرفية في الشدة الشديدة ، ولما كانت الموت شديدة على العباد أضيفت للغمرة.

وإن القرآن قد أضاف صيغة الجمع (الغمرات)؛ لأنها أبلغ في هذا المقام، وبلاغتها تتجلى في تلك المعاني المستفادة والتي تتمثل في :

- ✓ إن توظيف صيغة الجمع دون المفرد يجوز أن يكون لتعدد الغمرات بعدد الظالمين فتكون صيغة الجمع بذلك مستعملة في حقيقتها .
- ✓ ويجوز أن يكون لقصد المبالغة في تهويل ما يصيبهم على أن هناك أصنافا من الشدائد هي لتعدد أحوالها وأشكالها لا يعبر عنها باسم المفرد .
- ✓ كما يجوز ن تكون صيغة الجمع وعيدا بعذاب يلقونه في الدنيا في وقت النزع .

- ✓ أو هي من باب المشابهة ؛ فلما كان للموت سكرات جعلت غمرة الموت غمرات . (عاشور، 1984، صفحة ص377).

وإن هذه المعاني كلها متكاملة مع بعضها البعض عللت توظيف صيغة الجمع دون المفرد .

2.1 مراعاة اللفظة لسياق السورة:

إن توظيف المفردات في القرآن الكريم لا بد أن يكون مراعيا للسياق الذي وضعت فيه؛ إذ إن لكل مقام مقال وحد الإعجاز هو مطابقة الكلام لجميع مقتضى الحال ،وهذه الجزئية هي بيان لذلك الجمال النابع من ذلك التآلف بين الجو العام لسورة الأنعام وألفاظها من خلال مقارنة بين لفظتين أو أكثر في الآي المتشابه في السورة نفسها أو في مواضع أخرى من القرآن الكريم .

7/ قال تعالى :﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □ □
□ □ □ □ نىني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ ﴾الأنعام :128 .

فقد استعان القرآن في هذه الآية بلفظة (يقصون) أما في سورة الزمر فقد وظف لفظة (يتلون)في قوله تعالى :﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا حتى إذا جاؤوها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا﴾ الزمر:71.

والسبب في ذلك يعود إلى سياق كل سورة ؛ فكان توظيف كل من لفظتي (يقصون) و(يتلون) للموضوع العام للآيات السابقات ؛ فإن سورة الأنعام قد جرى فيها ذكر قصص الماضين في مواضع كثيرة والتي فيها من التحذير ومواعظ العبرة ما يكفي للاتعاظ فناسب ذكر هذه القصص التي تستدعي الحذر والموعظة قوله تعالى (يقصون عليكم آياتي).، فإن المستقرئ لسورة الأنعام يجد دواعي القصص بادية ظاهرة من خلال قوله تعالى:﴿ □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير

﴿ □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ ﴾ الأنعام :06

الآية وكذا من خلال قصة إبراهيم مع أبيه ، وكذا ذكر مجموع من الأنبياء قبل وبعد إبراهيم –عليه السلام –كما إن فيها إشارات أخرى إلى أمم ورسل سابقين .

أما سورة الزمر فلم يأت شيء من ذلك بل ذكر فيها لفظ الكتاب الذي يقتضي التلاوة وليس القصص وذلك في بداية السورة في قوله تعالى: آ ﴿□ □ بن بى بي تر □ □ تن تى تي ﴾ الزمر 2.

وغيرها من الآيات الأخريات ، فالسياق هنا سياق تلاوة وليس سياق قصص . (السامرائي، 2007 ، صفحة ص66).

8/ قال تعالى: □ □ □ □ □ □ نى ني □ ير □ □ ين □ □ □ □ □ □ □ بج بح بخ بم به تج تح تخ تم ته ثم □ ﴾الأنعام: ٦

والشاهد في هذه الآية لفظة (ألم) التي وظفها القرآن الكريم في هذه السورة على هذه الشاكلة أما في سورة الشعراء فإنها على شاكلة (أولم) بزيادة "واو" في **قوله تعالى** : تر □ □ تن تى تي □ □ □ □ □ □ □ ﴾لشعراء: ٧

وعلة هذا الاختلاف راجعة إلى ما تقدم الآيتين ؛ فإن سورة الأنعام لم يتقدم قبلها ذلك التنبيه الذي يستدعي التذكير والاعتبار المقرون بالتخويف والتهديد والتأكيد عن طريق التقريع والتوبيخ من خلال الهمزة الداخلة على حرف العطف مثلما هو كائن في سورة الشعراء . وإن تقدم سورة الأنعام نوع من الاعتبار إلا أنه لم يكن واضحا وبينا كما في سورة الشعراء فكانت الغاية منه إيماء للاعتبار بأحوال القرون السابقة ، فكان السياق هنا لا يستدعي تلك الزيادة المعنوية من خلال الزيادة اللفظية كما في سورة الشعراء

9/ قال تعالى : ير □ □ ين □ □□ □ □ □ □ بجبح بخ بم به﴾الأنعام: ٣٢ ، وفي هذه الآية شاهدان: (للدار)و(يتقون)؛ فلفظة (للدار) وردت في سورة الأنعام بلام القسم أما في سورة الأعراف فقد وردت بغير لام القسم في **قوله تعالى**:﴿□ □ □ □ □ □□ □ □ □ ﴾ الأعراف: ١٦٩، وهذا الإيراد كلن مناسبة لسياق الكلام في كل سورة ؛إذ إن الآية في سورة الأنعام (وما الحياة الدنيا إلا لعب ولهو)مرادها التعريف بحال الدنيا والتأكيد على أنها لعب ولهو فكان هذا التأكيد بمثابة القسم الصريح وبمثال أكثر توضيحا: إن القول (ما المال إلا الإبل)فكأنه تم نفي صفة المال عن كل شيء غير الإبل فكانت الإبل بذلك مالا عن طريق التثبت المؤكد . فناسب هذا المعنى مجئ لفظة (الدار) مقرونة باللام الموطئة للقسم فيكون معنى الكلام بذلك : والله إن الدار الآخرة خير .أما آية الأعراف فلم يكن قبلها ما يقتضي هذا القسم فجاءت الدار مجردة عنه (الغرناطي، 1983، صفحة ص448)..

ولفظة (يتقون) وردت في سورة الأنعام بصيغة المضارع أما في سورة يوسف فجاءت بصيغة الماضي في قوله تعالى: :﴿□ □ □ □ □ □ □ □ □ ﴾وهذا التوظيف كذلك مرده إلى السياق ؛فإن سياق سورة يوسف سياق الماضي أي إن القرآن قد تحدث عن رجال ظلموا أنفسهم فأهلكهم الله وهذا أمر قد حدث في الماضي وهو عبرة لمن يعتبر ولو أن فعلهم كان غير ذلك لتغيرت النتيجة فلو اتقوا لأنجاهم الله ،أما في سورة الأنعام فإن السياق لم يكن خاصا برجال في الماضي وإنما الكلام كان عاما لجميع البشرية وكأنها معادلة رياضية قرر فيها القرآن أن الحياة الدنيا لعب ولهو وإن الدار الآخرة خير منها أما الذي يتبع الحياة فإنه قد ظلم نفسه وسيحاسب على لك أما الذين يتقون فلهم نعيم الآخرة الخالد ؛ فناسب هذا السياق صيغة المضارع حتى يخرج الكلام عالميا.

4-الخلاصة:

إن القرآن الكريم معجزة لغوية وسورة الأنعام نموذج على هذا الإعجاز الذي تحدى به العرب وعجزوا عن الإتيان به ، وإن جمال سورة الأنعام متجل في جميع مستوياتها اللغوية: المستوى الإفرادي ،المستوى التركيبي، المستوى التصويري ، وإنها مستويات كلها خادمة لبعضها البعض عبر تآلفها اللفظي وانسجاها المعنوي ، ولعل هذا الإجمال يمكن تفصيله في النتائج التالية :

- ✓ إن سورة الأنعام قد تميزت عن باقي السور بأمور ثلاث : نزولها جملة واحد،أنها جمعت خصائص العرب ،أنها احتوت على أسلوبي التقرير والتلقين اللذان يندر وجودهما في السور الأخرى .
- ✓ إن الغرض الأساسي الذي جاءت به الآية يكمن في توحيد الله من خلال تلك الدلائل الكونية التي تضمنتها سورة الأنعام.
- ✓ إن ميزة القرآن الكريم عامة وسورة الأنعام خاصة تتمثل في ذلك التوظيف المعجز لألفاظها فتجعلها أبلغ من أي لفظة أخرى في ذلك المقام، كما إن توظيفها هو مراع لسياق الآية والسورة؛ إذ إن القرآن لحمة واحدة.
- ✓ إن بلاغة المفردة القرآنية في سورة الأنعام وجمالها ينتج باجتماعها رائعة تركيبية مثلنا لإعجازها بتلك العلاقة المتينة بين المعنى العام للآية وتعقيبها .
- ✓ كما مثلنا لجمال التركيب بتلك اللطائف البلاغية من خلال أسلوب الإطناب؛ إذ إن ما يميز سورة الأنعام كذلك وجود هذا الأسلوب بكثرة، وإن الإطناب لا يعني الملل أبدا كما قد يكون في الكلام البشري وإنما في هذا المقام قد زاد المعنى عمقا وجمالا وقوة من خلال التأكيد لإنشاء عقيدة صحيحة متينة .

- ✓ كما إن سورة الأنعام شخصت وجسمت مشاهد كانت خادمة للغرض الرئيسي للسورة كما رسمت نماذج إنسانية خالدة بتشخيص طبيعتها البشرية المكابرة الحائرة والمتعنتة في الكفر.

وإن هذه النتائج لا تصور ذلك الكمال للمعجزة اللغوية في سورة الأنعام وإنما كانت وظيفته تقديم لمحة عنه ولعل الدراسة في سورة الأنعام لازالت في بدايتها والآفاق أوسع من ذلك؛ لأننا في رحاب القرآن والكلام عن إعجازه غرفة من بحر..

- **قائمة المراجع:**

1- ابن الزبير الغرناطي. (1983). *ملاك التأويل*. دار الغرب الإسلامي .

2- ابن منظور. (1990). *لسان العرب*. بيروت: دار صادر.

3- أحمد بن محمد الفيومي. (دت). *،المصباح المنيرفي غريب الشرح الكبير*. بيروت: المكتبة العلمية.

4- أحمد مطلوب. *معجم المصطلحات البلاغية وتطورها*. بيروت: مكتبة لبنان.

5- احمد ياسوف. (1999م). *جماليات المفردة القرآنية*. دمشق: دار المكتبي.

6- الباقلاني. (دس). *إعجاز القرآن* .

7- البغوي. (1409). *معالم التنزيل*. الرياض: دار طيبة للنشر والتتوزيع.

8- الجاحظ. (1998). *البيان والتبيان*. بيروت: مكتبة الخانجي.

9- الخطابي والرماني والجرجاني. (1979). *ثلاث رسائل في الإعجاز*. دار المعارف: مصر.

10- الطاهر بن عاشور. (1984). *التحرير والتنوير*. تونس: الدار التونسية للنشر.

11- القرطبي. (2001). *الجامع لأحكام القران*. بيروت: دار الكتب العلمية .

12- سيد قطب. (دط). *في ظلال القرآن* . دار الشروق : القاهرة.

13- عبد الله بن هشام. (1383). *شرح قطر الندى وبل الصدى*. القاهرة.

14- فاضل صالح السامرائي. (2007). *أسئلة بيانية* . الشارقة : مكتبة الصحابة .

15- محمد بن أبي بكر الرَّازي. (دط). *مختار الصحاح*. دن.

16- محمد حسين سلامة. (2002). *الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم* . القاهرة: دار الآفاق العربية.

17- محمود السيد شيخون. (1978). *الإعجاز في نظم القرآن*. القاهرة : مكتبة الكليات الأزهرية.